

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

جامعة الأمير محمد القادر

قسم اللغة العربية

للعلوم الإسلامية قسنطينة

عنوان البحث

مقدمات المصادر التراثية في المغرب والأندلس

- دراسة في المنهج والمصطلح و الأسلوب -

(من القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجري)

بمحك لنيل درجة دكتوراه العلوم في علوم اللغة العربية

إشراف

إعداد الطالبة

أ.د عبد الله بوخلخال

سعاد بولشفاور

السنة الجامعية : 2010 - 2011 ء

ملخص الدراسة

هذه الدراسة منفتحة زمانا و مكانا على المغرب و الأندلس من القرن الثالث حتى القرن التاسع للهجرة ، وثقافيا و علميا على مُقدّمات مصادر هامّة في علوم القرآن والأدب واللّغة . ممّا سمح باكتشاف جوانب من شخصية أعلام علماء و أدباء و لغويين كـ "ابن عبد ربه"، و " الحُصري" و " ابن رشيق" و " القرطبي" و "ابن سيده" و " الزبيدي" و " أبي حيان" . هؤلاء و غيرهم تركوا للمكتبة العربية التراثية رصيذا ثميناً من أمهات الكُتب والمؤلّفات ، هي إذا لم نبالغ نُعدُّ حدائق ذات بهجة . و منابع أولى للمعرفة . و بسماتها هاته لا تُعدُّ البتة كهفا مهجورا .

وقد تبين من خلال الدراسة الوصفية التحليلية أنّ المؤلفين في المغرب والأندلس اعتنوا بما يطلق عليه الدارسون كـ "جيرار جنيت" وبعض الدارسين في مؤلفاتهم كـ "هاني العمدة" و"عباس أرحيلة" ، و في بعض الأطروحات الأكاديمية كـ " عبد الرزاق بلال" و"عمر الراضي" في هذا العصر العتبات ، و من بين هذه العتبات عنوان المؤلّف ومُقدّمته ؛ فليس يخلو مؤلّف من مؤلفات هذه الدراسة إلاّ بتصديره بمقدّمة تُعدُّ عتبة هامة

يقدم فيها المؤلف مؤلفه في صورة - من الصور - يذكر فيها المنهج المتبع، و الموضوع ،
والأسباب المؤدية إلى التأليف ، و الهدف من ذلك... و من خلال الإطلاع على مضامين
هذه المقدمات تبين عدة أمور:

أولاً: للمقدمة تسميات منها خُطبة الكتاب ، أو صدر الرسالة ، أو فاتحته ، أو مطلعها .
إضافة إلى هذا لا يوجد اختلاف كبير بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لكلمة مقدمة
التي تعني أول الشيء ، وهذا ينطبق عليها باعتبارها سابقة و متقدمة على متن الكتاب .
و من جهة أخرى يهدف المؤلف من جعلها عتبة أولى لتهيئة القارئ للقراءة بوضعه في
جو من التشويق .

و تختلف المقدمات بصفة عامة و مقدمات هذه الدراسة من ناحيتين :

أ- من ناحية الشكل : توجد مقدمات قصيرة ، و مقدمات متوسطة ، و مقدمات طويلة
أو مقدمات في شكل محاور (مقدمة صنعة الكلام ، والمقتطف) ، مقدمات في شكل رسالة
(مقدمة طوق الحمامة)، و مقدمات موجهة للقارئ بصفة عامة .

ب- للمقدمة عناصر ثابتة هي: الصدر وال متن و الخاتمة. فقد خُصص الصدر للحملة
والتصليية في الغالب. أما المتن فقد خصص لذكر الموضوع أو المنهج و الأسباب والأهداف
أما الخاتمة فُخصت في الغالب للدعاء و طلب المعونة والتوفيق من الله عزو جل .

أما من ناحية الموضوع : تنوعت المقدمات من حيث موضوعات المؤلفات المعرب
عنها.

ثانيا- أعرب المؤلفون عن عناوين مؤلفاتهم في المقدمات كعتبة هامة
، يختصر المؤلف في جُمْل . و قد تميزت أغلبها بالطول مثال ذلك " صلة الجمع وعائد
التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل"- "البلنسي". ومن خصائصها الفنية استعمال الألفاظ
بمعنى مجازي كالجواهر والحدائق و العقد والضرب . إذ يعبر المؤلفون عن وعي بدوره و
أثره في إعطاء صورة عن قيمة الكتاب الجمالية و الفائدة العلمية و النفسية المرجوة منه .

ثالثا- اتسم المؤلفون بوعي كبير بالمنهج ؛ إذ ليس تخلو مقدمة من المقدمات - باستثناء
مقدمة تفسير القرآن للشيخ "هُود بن مُحَكَّم الهُواري"- من الحديث عن المنهج المتبع،

كمنطق كلّي يحكم العمل المقدّم . وقد اتبعوا قواعد كالنقل، والاستدراك، والترتيب، وإسقاط الأسانيد، واستعمال الرمز، والانتخاب، والتبويب . والتزموا بضوابط أخلاقية كالتحلّي بالأمانة العلمية؛ و ذلك بنسبة الأقوال إلى قائلها كـ"القرطبي" و"الثعالبي"، وبعدم التغيير في الرواية كـ"ابن رشيق القيرواني" .

رابعاً- حفلت المقدمات بذكر جملة من المصطلحات التي تُعدّ الموضوع الرئيس للمؤلف، و لكن أغلبها لم تحظ بالتعريف، ما عدا مصطلح (التفسير) الذي قام بتعريفه كل من "أبي حيان" و"ابن عرفة"، و ما كرره "ابن سيده" بخصوص حدّ اللّغة. ومن المصطلحات غير المعرفة على سبيل المثال لا الحصر مصطلح المُجمل، المُشكّل، المُحتمل، إعراب القرآن، المُبهم، الغريب، المُستعمل، اللّسان، اللّغة. إلا أن المؤلفين قد أغنوها بأرائهم النقدية ووجهات النظر. ممّا يمكن للباحثين النظر من جديد في هذه المقدمات لاكتشاف مواطنها التي قد تثري أو تقدم بحوثاً علمية جديدة .

خامساً- إنّ أبرز ظاهرة تلفت الانتباه ظاهرة (الأنا والآخر) التي اطّردت في جُلّ المقدمات؛ و قد مثل المؤلف الأنا. أما الآخر فتعدّد في صورة حاكم، أو صديق، أو قاريء. كذلك تجسدت هذه الظاهرة بالإعراب عن علاقة الأدي (الأنا) بالأعلى (الله عزوجل) خاصة في صدر المقدمات و خواتمها . كما تخطت العلاقة إلى صنف من غير البشر ألا وهو الكتاب. الذي يعدّ هدفاً رئيساً للأنا . كذلك تبيّن خط السير العاطفي لكل من الأنا والآخر؛ وذلك بالتعبير عن الوُدّ واحترام وجهات النظر(من خلال المحاورّة: مقدّمة المقتطف كمثال)، وعن الهدف السامي من تأليف المؤلف. ومن الأساليب التي استغلّتها (الأنا) للتعبير عن علاقتها أسلوب الدّعاء والمدح والوصف كحقّ الآخر على الأنا.

و قد توصلّ من خلال النصوص إلى تصنيفات لها :

* **الأنا المتفردة** : بأرائها و البارعة بحُسن الانتقاء والانتخاب لمادة الكتاب (ابن عبد ربه كمثال).

* **الأنا المبالغة**: في تواضعها للآخر، إلى حدّ نبذ المؤلف من قبل الأنا إذا لم يرض الآخر به (ابن رشيق كمثال)

* الأنا المتواضعة : هي أقرب إلى الأنا المبالغة لأنها تلتقي معها في التحلي بالتواضع للآخر (أغلب المؤلفين).

* الأنا الواعية : تتمتع بالاستقلالية و التفرد بالأراء (ابن حزم و أبي حيان كمثال)

* الأنا المفكرة : أنا وفية و مجتهدة تسابق الزمان كي يخرج مؤلفها إلى النور بعد مكابدة و معاناة فكر (الحسن القيسي كمثال).

* الأنا المؤمنة : تجسدت بقوة في مقدّمات مصادر علوم القرآن؛ و ذلك بعبارات دالة على حسن النية و حُبّ التقرب إلى الله عزوجل و الفوز بالرّضا .

* الأنا الشاعرة : يتمتع أغلب المؤلفين بهذه الأنا كـ "ابن سيده" و " الحُصري " و "ابن رشيق" و "أبي حيان" ...

في آخر هذه الدّراسة يمكن أن تُصنّف بعض من مقاطع هذه المقدّمات في مجال النثر الفني الأدبي لما تتميز به من صور بيانية . مع اقتناء جملة أخرى من الألفاظ الكتابية على شاكلة " الهمذاني " و "المرزباني" .

Résumé

Cette étude est ouverte historiquement, géographiquement, culturellement et scientifiquement sur les introductions d'importants œuvres de sciences du coran, de littérature et de langue durant une période allant du 3^{ème} au 9^{ème} siècle. Ce qui a permis de découvrir certains traits caractérisant la personnalité de plusieurs ulémas littéraires et linguistes célèbres comme Ibn Abd Rabbou, Al Houssari, Ibn Rachik, El Kourtobi, Ibn Sida, Al Zoubayri, Abou Hayane etc...ceux qui enrichi la bibliothèque arabe par le biais de leurs valeureux héritage de précieux livres que l'on peut qualifier sans exagérer des vergers merveilleux et de sources fondamentales du savoir. Vu ainsi, cet héritage ne peut être sujet d'oubli ou de négligence.

Il s'avère, de par l'étude descriptive et analytique, que les auteurs maghrébins et andalous donnent une grande importance à ce que Gérard Genette et certains chercheurs comme Hani Al Amad et Abbas Arhila ainsi que Abderrazak Bilal et Omar Abderradhi dans leurs thèses académiques, appellent "seuils" qui peuvent être des titres d'ouvrages ou des préfaces, chose qu'aucun auteur n'omet, car la tradition exige que l'on

commence le livre par une préface considérée comme seuil, servant à présenter l'œuvre, à monter la méthodologie suivie, le sujet traité, l'objectif etc.... L'étude de ces préfaces montre que:

Les auteurs utilisent des termes différents (présentation, début du livre, ouverture etc....pour désigner la préface sans faire de différence entre le sens linguistique et le sens terminologique de (moukaddima) qui signifie le début de toute chose, étant au début du livre d'une part et permettant au lecteur de s'introduire dans l'atmosphère de l'œuvre en lui offrant l'envie de lire l'œuvre d'autre part.

I- Généralement les préfaces diffèrent et spécialement celles traitées dans cette recherche sur deux plans : leur formes et leurs thèmes.

a- La forme : selon le cas, les préfaces sont courtes, longues ou moyennes, certaines préfaces ont la forme d'une conversation, d'autres prennent la forme d'une lettre généralement, elles sont destinées au lecteur.

La préface ne doit pas manquer d'un début consacré aux louanges de Dieu, d'un texte (matn) consacré au thème, à la méthodologie, aux raisons et aux objectifs, et d'une fin consacrée surtout aux prières où l'auteur demande l'aide de Dieu le Tout Puissant, la tradition veut que ces trois éléments constitutifs de la préface restent constant.

b- Le thème : les préfaces sont très divers quant aux thèmes traités

II- les auteurs citent les titres de leurs œuvres, qu'ils considèrent comme d'importants seuils et qui résument l'ouvrage en phrases, dans leurs préfaces. Ces titres sont généralement longs, ex: " silat aljamae wa aaid al tathiiil limaoussoul kitabay al ialam wa takmil". Ces titres sont caractérisés par l'emploi des mots dans leurs sens métaphoriques ex : les bijoux, les vergers, le collier, le miel

etc....visant l'effet esthétique et psychique que revêtent les métaphores aux titres.

III- les auteurs sont très conscients quant à l'importance et au choix de la méthodologie adoptée, selon une logique générale qui véhiculait les travaux à cette époque, on peut remarquer qu'aucun ouvrage ne manque – à part celui du Cheikh Houd ben Mouhakam al houari (l'interprétation du Coran) – de préface présentant la méthodologie suivie. En outre, il ne manque pas de respecter les règles d'organisation, d'utilisation de symboles, de la classification, de choix etc....le respect du texte intégral comme c'est le cas d'Ibn Rachik el Keiraouani.

IV- les préfaces sont dotées d'un bon nombre de termes représentant le thème principal de l'ouvrage, qui manquent d'être définis à l'exception du terme de "Tafsir" qui est défini par Ibn Hayan et Ibn Arafah et "langue" dont la définition est répétée par Ibn Sidah. Parmi les termes non définis on pourrait citer comme exemple: al moujmal, almouchkil, almouhtamal, iarab Alcourane, almoubham, algharib, almoustaamal, allissane allougha, cela n'empêche que les auteurs les ont enrichi par leurs critiques, leurs opinions et leurs points de vue. Ce qui pourrait permettre aux chercheurs de revoir ces préfaces en vue d'une nouvelle exploration qui les enrichirait ou qui pourrait être sujet de nouvelles recherches.

- L'ego (le moi) et l'autre comptent parmi les sujets les plus présents dans les préfaces, ce qui constitue un phénomène important qui attire l'attention. Le moi désigne l'auteur, quant à l'autre, il pourrait désigner un responsable, un ami ou un lecteur.

D'autre part, ce phénomène s'est caractérisé par la relation de l'inférieur (le moi) et le supérieur (Dieu) le Tout Puissant surtout au début et à la fin de chaque préface. Cette relation a même dépassé la catégorie humaine au livre considéré comme un objectif principal du moi. Le parcours de cette relation "le

moi" et "l'autre" se traduit en convivialité et respect des points de vue au cours des conversations comme c'est le cas de la préface du " mouktataf". Les auteurs ont diversifié les emplois des styles (la description, les louanges, les prières etc....) en parlant du moi et sa relation avec l'autre.

Ces relations peuvent être classées de la manière suivante:

- Le moi unique qui s'impose par ses points de vue et excelle quant au choix de la matière et de l'objet de l'ouvrage. ex : Ibn Abd Rabou.
- Le moi exagérant quant à sa modestie envers l'autre à tel point que l'auteur se voit haïr sa personne s'il n'est pas supporté par l'autre ex: Ibn Rachik
- Le moi conscient libre est connu par ses propres idées comme Ibn Hazim et Abou Hayan
- Le moi penseur fidèle persévérant n'épargnant aucun effort pour que ses œuvres voient le jour (El Kaissi)
- Le moi (croyant) qui s'est caractérisé surtout dans les préfaces des œuvres des sciences du Coran, dans les quelles les auteurs expriment leur intention de vouloir plaire à Dieu en accomplissant une telle tâche.
- Le moi poète que l'on trouve chez la majorité des auteurs (Ibn Sidah, El Houssari, Ibn Rachik Abou Hayane etc...)
- En fin, on pourrait classer certains extraits de ces préfaces parmi les travaux littéraires vu leurs styles, et les images qu'ils contiennent en sus du choix de certains termes pris selon le style de "El Hamadhani " et El marzabani".